

الأمة ونساؤها "الجديدات":  
الحركة النسائية الفلسطينية،  
١٩٢٠ - ١٩٤٨\*

The Nation and its "New" Women:  
The Palestinian Women's Movement  
1920-1948

Ellen L. Fleischmann

Berkeley: University of California  
Press, 2003. 335 pages. \$29.95 paper.

يغطي هذا الكتاب تاريخ الحركة النسائية الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني؛ وهي فترة لا يُعرف عنها الكثير فيما يتعلق بهذا الموضوع. وهو يقدم رواية مفصلة لتاريخ الحركة، وبالتالي يشكل إضافة مهمة إلى الكتابات عن النساء الفلسطينيات. في الأساس، كانت المؤلفة تعتزم "تفحص العلاقة الثلاثية بين الوطنية والحركة النسائية والاستعمار"، لكنها واجهت "وضعا غير عادي... [يتمثل] في غياب تاريخ مدون يركز على تجربة النساء الفلسطينيات" (ص ١١). وعلى الرغم من "قلة المعطيات عن عمل المرأة في البنى الاقتصادية، أو التربية، أو الثقافة، أو القانون، أو الأسرة، أو المؤسسات السياسية، أو الزراعة، أو علاقتها بها - أي كل مجالات الدراسة التي يمكن أن تنير سياق تاريخ المرأة" (ص ١٢) - فإن المؤلفة تخلص إلى أن "مجرد وجود النشاط الدينامي للمرأة يتحدى الأسس التعريفية للوطنية الفلسطينية" (ص ٢٠٥)، التي تزعم أن "الحركة النسائية الفلسطينية كانت حركة نسائية محلية لم تظهر وعيا بعدم المساواة بين الجنسين (gender) ورغبة في تلطيفه" (ص ٢٠٥)، وأن "النساء الفلسطينيات كن مضطرات بالضرورة إلى التكيف وإجراء مفاوضات بين الوطنية والحركة النسائية"، وأن "قضية المساواة هذه والأمة تحتك إحداهما بالأخرى" (ص ٢٠٨).

الكتاب مفيد في معرفة تاريخ الحركة النسائية الفلسطينية، وخصوصاً شخصياتها الرئيسية ودينامياتها الداخلية ومحدودياتها. ولقد لجأت المؤلفة إلى المصادر الأولية، مثل الصحافة المطبوعة، وأرشيف الانتداب البريطاني غير المستخدم في السابق، لإعادة بناء تاريخ الحركة النسائية الفلسطينية. كما استخدمت أساليب التاريخ الشفهي.

يعاني الكتاب، على الرغم من قيمته، بعض المشكلات المنهجية التي تجدر الإشارة

(\* المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. xxxiii, no. 3 (Spring 2004) pp. 112-113.

إليها. على سبيل المثال: تحاول فليشمان استخدام قضية المساواة بين الجنسين كفتة للتحليل، لكنها لا تعرفها في السياق الفلسطيني. ولا يتوفر إلا القليل من البحث لمساعدة القراء في فهم العلاقة الدينامية بين معايير هذه القضية السابقة للاستعمار والبناء الجديد (أو إعادة البناء) لأدوار الجنسين الذي أحدثه الانتداب البريطاني. ونتيجة ذلك يستشعر المرء محاولات المؤلفة المربكة لاستخدام قضية المساواة بين الجنسين أداة للتحليل بينما تركز، في الوقت نفسه، على النساء وحركتهن والتفصيلات الدقيقة المحيطة بكليهما.

لقد طرح الكتاب كثيراً من الأسئلة من دون أن يجيب عنها، على الرغم من أنه يضم فيضاً من المعلومات القيمة. على سبيل المثال: تتحدث المؤلفة عن الفجوة القائمة بين نساء النخبة الحضرية والنساء الريفيات، لكنها لا توضح سبب وجود هذه الفجوة وبقائها. هل ترجع إلى التمييز بين الطبقات وعجرفة النساء الحضريات، أم أنها ترجع إلى الاختلافات الإقليمية والسياسات الاستعمارية، إلخ؟ والأهم من ذلك، عدم وجود تفسير لسبب فشل القيادة النسائية في تنظيم الفلاحات. ولا يجيب الكتاب أيضاً عن السؤال الحيوي عن طبيعة الصلة بين الحركة النسائية والحركة الوطنية التي يهيمن عليها الرجال.

تبدل فليشمان كثيراً من الجهد لتوكيد "الاستقلال الذاتي" للحركة النسائية الفلسطينية عن الحركة الوطنية. ونظراً إلى أن الاستقلال الذاتي مفهوم جديد نسبياً لدراسة الحركات النسائية الحديثة، فإنه لا تتضح صلة هذا المفهوم في دراسة حركة نسائية مبكرة، مثل الحركة النسائية الفلسطينية، التي - كما تظهر الأدلة - لقيت تشجيعاً ودعمًا من الحركة الوطنية الذكورية، بل خرجت من عباءتها. كما أن مفهوم "الاستقلال الذاتي" يشير إلى قدرة الحركات النسائية على وضع جدول أعمال نسائي لا يخضع للحركة السياسية التي يسيطر عليها الرجال. ويكشف كثير من الاستشهادات التي توردها فليشمان أن النساء الفلسطينيات شكّلت حركتهن من أجل دعم عمل الرجال وإكمالها، لا لفصل أنفسهن، أو السعي للاستقلال الذاتي عنهن.

ومع أن المؤلفة جمعت كثيراً من التفصيلات المتعلقة بالحركة النسائية، فإن وفرة هذه التفصيلات جاءت على حساب التحليل الشامل وبديلاً من الإطار النظري الذي لا غنى عنه. وهذه التفصيلات الغامرة تربك القارئ أكثر مما تساعده، فيتوه عما قيل من قبل وعن أسبابه. وفي محاولة لتركيز التحليل، يختتم كل فصل بقسم للاستنتاجات، لكن هذه الاستنتاجات لا تساعد كثيراً، في الغالب، لأنها تقدم معلومات وتحليلات جديدة بدلاً من أن تبرز النقاط الرئيسية (مثلاً: ص ١١٢ - ١١٤).

ونظراً إلى أن المؤلفة منغمكة في مناهج البحث القائمة، فإنها تنشغل أحياناً بدحض الحجج أكثر من انشغالها بتقديم رواية واضحة عن كيفية التوصل إلى

استنتاجاتها المتعددة. على سبيل المثال: من الحجج الرئيسية التي يوردها تد سويدنبورغ في كتابه عن تراجع الحركة النسائية [في فلسطين خلال فترة الانتداب] أن قضية المساواة بين الجنسين كانت موضوع تنافس ناجم عن الانقسام الريفي - الحضري والتوتر الطبقي، بحيث انعكس هذا التنافس في التركيز على دور النساء الحضريات من الطبقتين العليا والمتوسطة في المجال العام (Ted Swedenburg, *Memories of Revolt: The 1936-1939 Rebellion and the Palestinian National Past* [University of Minnesota Press, 1995]). تبدأ فليشمان بـ "تأكيد" أنها لم تجد أي دليل يشير إلى تراجع "مشاركة" النساء في السياسة الوطنية، لكنها تختتم بأن النساء تحولن إلى "أنواع الأنشطة الاحتجاجية الأقل علنية وإثارة للجدل" (ص ١٣٥). وفي مثال آخر، تذكر أن عدم قدرة الحركة النسائية على توسيع قاعدتها الطبقيّة الضيقة كان وراء إخفاقها الكبير في بناء تنظيم ذي قاعدة شعبية. وبدلاً من أن تشرح المؤلفة هذا الفشل، ذكرت أن النساء "عكسن صورة الحركة الوطنية التي يقودها الرجال" (ص ٢٠٣). والتمثال هنا غير دقيق، لأن الحركة الوطنية التي يسيطر عليها الرجال تمكنت من قيادة ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ الفلاحية الكبرى، في حين أن الثورة نفسها استهدفت الدور السياسي للنخبة النسائية في المجال العام. أخيراً، فإن عنوان الكتاب لا يعكس التحليل المقدم فيه، وخصوصاً أن الحركة النسائية والحركة الوطنية التي يقودها الرجال فشلتا، على السواء، في إنشاء دولة أمة تبني رجالاً جديداً، أو امرأة جديدة. إن النقد أعلاه لا يهدف إلى التقليل من أهمية الكتاب. فهو مصدر قيمّ للتعلم عن تاريخ الحركة النسائية الفلسطينية، فضلاً عن أنه غني بالمعلومات. ويقدم الكتاب أساساً متيناً يستفيد منه الباحثون الجدد في إكمال الرواية عن النساء وحركتهن، وهي الرواية التي تغيب عادة عن معظم مراجع التاريخ الفلسطيني.

## إصلاح جاد

أستاذة العلوم السياسية

في جامعة بيرزيت

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>